مركز دلائل
Dala'il Centre

البلاغ النبوي

حقائقه وبراهينه
بين السلف والمخالفين
(دراسة عقدية)

د. أفنان بنت حمد محمد الغماس

البلاغ النبوي

حقائقه وبراهينه، بين السلف والمخالفين

"دراسة عقدية"

د. أفنان بنت حمد محمد الغماس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أرسل الرسل إلى المكلفين إعذاراً منه وإنذاراً، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. ثم أما بعد:

فإن من أعظم ما اهتدت إليه البشرية الإيمان بالبلاغ النبوي، إذ أنه تبليغ عن رسالة رب العالمين، فالأنبياء عليهم السلام هم السبيل الأوحد للإيمان الصحيح التام بالله عز وجل رباً وحاكماً؛ فلا يتم العلم بأمره ونهيه سبحانه تحقيقاً إلا عن طريق الرسل عليهم السلام، وقد ختم الله عز وجل النبوات ببعثة النبي ﷺ وجعل رسالته إلى الناس كافة، حجة قائمة إلى قيام الساعة؛ ولعظمة هذا البلاغ النبوي تعلقت به كل حقائق الإيمان بالله تعالى، فلا تحقيق للسعادة والفلاح في الدنيا إلا بالإيمان به، ولا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا به، فجملة الدين الذي ارتضاه الله ديناً لخلقه جاء به البلاغ النبوي، تفصيلاً وتأصيلاً، وبياناً وإرشاداً.

ولا طريق إلى مرضاة الباري جل في علاه إلا في الالتزام بهدي المصطفى ﷺ واقتفاء أثره، ولا علم بالطاعة والمحابّ إلا بتبليغ المصطفى ﷺ وبيانه، وقد جاء بلاغه متجلياً بالهدى والبيان ودين الحق.

ثم إنَّ للبلاغ النبوي براهينٌ ناطقة ودلائل واضحة دالة على أنَّه دعوة حق، ولسان صدق، وبلاغ عظيم، وأقوى هذه البراهين دلالةً، وأعظمها يقيناً، كتاب الله الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولو لم يقترن البلاغ النبوي إلا به لكان كافيًا في إقامة الحُجَّة الرساليَّة على الخلق.

ولم يكن الدين الذي جاء به ﷺ مقتصراً على القرآن الكريم فحسب وإنما جاءت سنته ﷺ مكملةً للرسالة ومتمِّمة للبلاغ «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»[(١)]. وقد تلازم مفهوم الإيمان بالنبي ﷺ مع حقيقة الإيمان بالله تعالى اعتقاداً وامتثالاً، فالإيمان به ﷺ إيماناً

(١) أخرجه أحمد في مسنده ط الرسالة حديث رقم: ١٧١٧٤ (٢٨/ ٤١٠) وأبي داود في سننه، حديث رقم: ٤٦٠٤(٤/ ٢٠٠)، والمروزي في السنة حديث رقم: ٢٤٤ (ص: ٧٠)، والطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٦٦٩ (٢٠/ ٢٨٣)، والدارقطني في سننه حديث رقم: ٤٧٦٨ (٥/ ٥١٧)، والبيهقي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٩٤٦٩ (٩/ ٥٥٧) تحقيق الألباني: صحيح ابن ماجة (١٢). حديث صحيح.

بمُرسِلِه تبارك وتعالى، لذلك أُنيطت النجاة والأمر والنهي بطاعته والاهتداء بهديه، فهو المبلّغ البلاغ المبين، المبعوث رحمة للعالمين.

وقد اشتمل هذا البلاغ النبوي على الدعوة إلى أصول الإيمان ودلائله ومسائله، ومحاربة كل ما يناقض ذلك من الكفر أو الشرك ودوافعه.

ومتعلق هذا الإيمان بالبلاغ أنه يترتب عليه الثواب والعقاب، ولا تقوم الحجة إلا بعد بلوغ الرسالة، فمن بلغه هذا البلاغ وعلمه وفهمه قامت عليه الحجة. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [سورة الإسراء:١٥].

فلما كانت رسالة محمد ﷺ آخر الرسالات وختمت بنبوته النبوات، وكانت حجة الله على العباد إلى يوم القيامة، كان لها من الآيات والبراهين والدلائل والحقائق النصيب الأوفى والحظ الأكبر، وهذا مقتضى الرحمة الإلهية في سنة الله الجارية في تيسير أسباب الأشياء على حسب حاجة العباد، فضلاً منه ورحمة.

ومقتضى الحكمة الربانية التي اقتضت حفظ أعظم آياته وأجلى معجزاته، في بلاغ يبقى محفوظاً مستمراً إلى نهاية الخلق، وهذا مما اختص به البلاغ النبوي ورسالة محمد ﷺ، بأن جُعلت براهينها كبرى، وحقائقها عظيمة، ودلائلها واضحة، كامنة فيما أوحاه الله إلى نبيه ﷺ، وهذه دلالة صريحة على عظمة هذا الوحي وقوة حجته، وظهور دلالته، ووضوح برهانه، التي تميز بها بلاغ النبي ﷺ عن سائر الأنبياء.

ورغم بيان أثره وقوته، إلا أن أقواماً أظهروا المخالفة الصريحة للبلاغ النبوي، وحاولوا التوهين والطعن والتشكيك، وأثيرت على مدى التاريخ الإسلامي الكثير من التساؤلات التي سنتناول الرد عليها، مثل: هل ثبت الوحي حقيقة بلا شك ولا ريب للنبي ﷺ ؟ هل ثبتت العصمة للنبي ﷺ ؟ هل أوصل لنا النبي ﷺ الرسالة كاملة ؟ وهل بيّن النبي ﷺ الدين، أم أخّر البيان إلى وقت الحاجة ؟ ما مدى كمال علم النبي ﷺ، وفصاحته وبيانه، ونصحه للأمة ؟ هل البلاغ النبوي مُحكم بيّن ظاهر ؟ أم يظهر عليه التناقض والتعارض ؟ هل نصوص الشريعة تستوعب جميع أفعال المكلفين ؟ هل هي كافية مستغنية عن غيرها ؟ أم تحتاج إلى من يكملها؟ ما علاقة النص بالعقل ؟ هل التعارض الظاهر في نصوص الشرع في حقيقة الأمر أم في ظاهره ؟ ما الواجب في النصوص التي ظاهرها التعارض ؟ هل لازم كلام الله ورسوله ﷺ حجة ملزمة لا يجوز مخالفتها ؟ هل يوجد معاني باطنة للقرآن لا

يعلمها إلا خاصة الناس ؟ ما صحة ادعاء البعض اختفاء بعض نصوص القرآن أو تحريفه ؟ أو عدم معرفة معانيه إلا بالأوصياء والأولياء ؟ ما مدى وثوقيه السنة ؟ هل الأدلة الشرعية ظنية لا تفيد اليقين ؟ هل ممكن تفسير القرآن والسنة وفق المعطيات العلمية ؟ هل البلاغ النبوي مُنتج بشري منتهي الصلاحية قابل للرفض والنقد والتعديل ليناسب العصر ؟ ذلك بعض ما تناول هذا البحث الإجابة عليه مُدللة ببراهين الكتاب والسنة مُعضدة بأقوال أهل العلم، بالإضافة إلى بيان الأصول التي تكشف عن ضلال الخارجين عن الدين، الطاعنين في البلاغ النبوي، وفي مقوماته ودلائله، وصفاته، وخصائصه، وقد يعسر حصر جميع مواقف المخالفين لمنهج السلف في البلاغ النبوي، حيث الشُبه متعددة، والآراء البشرية معتمدة على الأهواء والأصول الفلسفية والعقلية المختلفة في الاستدلال على الأصول الإيمانية النبوية، لذلك سنشير إلى أظهر المخالفين، مع إبراز أصولهم المؤثرة في مواقفهم، ومن ثم الرد عليها وإبطالها.

وهذا مما جعل الحاجة مُلحة لبيان حقيقة هذا البلاغ النبوي، والرد على من خالفه وطعن فيه، ثم عزمت الأمر على تسجيل رسالة الدكتوراه في (البلاغ النبوي: حقائقه وبراهينه بين السلف والمخالفين) دراسة عقدية، وقد نلت بها درجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى ولله الحمد والمنة، وهي ترنو إلى هدفين:

١. الإسهام في إبراز حقيقة البلاغ النبوي ودلائله وبراهينه، لإثبات كمال تبليغ المصطفى ﷺ في بلاغه وكفايته، وإقامة الحجة الرسالية على الخلق.
٢. مناقشة أبرز من خالف هذا البلاغ النبوي ومعرفة أصولهم التي أقيم عليها موقفهم المخالف للبلاغ والرد عليهم.

فرأيت تقديمها في كتاب أسأل الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين. وقد راعيت في تقديمه ما يلي:

١. استبعاد بعض لوازم تقديم الرسالة أكاديمياً مثل (ملخص الرسالة) (فهارس الآيات والأحاديث والمراجع) مع اختصار هذه (المقدمة) وإعادة تقديمها بما يناسب القراءة العامة.
٢. استبعاد تراجم الأعلام القدامى، مع الاكتفاء بتراجم الأعلام المعاصرين الذين يكثر ذكرهم في وسائل الإعلام والنقاشات الدينية، لأهميتهم للجيل الحالي من طلبة العلم وعامة المسلمين.

٣. الاختصار وانتقاء الأهم والأعم والأشمل، والتجاوز عن الخوض في كثير من التفصيلات الدقيقة، والتركيز على أبرز النقاط المهمة في كل مبحث بإيجاز من غير اختزال أو إخلال.

وبعد.. فإني أحمد الله على ما تفضل عليّ وأكرم في إعداد رسالة علمية متعلقة بالمصطفى ﷺ خير البشرية، فالحمد لله على آلائه الجسيمة ونعمه الجليلة، فله الحمد والشكر أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

فهو محض منة وفضل منه سبحانه، فالحمد لله أن شرَّفني بهذا الفضل العظيم، وأسأله أن يتقبله مني ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون علماً نافعاً وأثراً باقياً في الحياة وبعد الممات.

والحق لأهل الفضل ابتداءً لوالديّ الكريمين على ما بذلا من اهتمام ونصح ودعاء، ثم لزوجي الكريم فقد كان خير مُساند وداعم فله من الشكر أجزله ومن الدعاء أوفره، والشكر موصول لإخواني وأبنائي، ومن ثم أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الكبير لشيخي الكريم د. سلطان العميري، على ما أولاني به عناية وغذَّاني من علم ودراية زيَّنت وأثرت فكري، وقوَّمت رسالتي، فجزاه عني خير ما جزى أستاذاً عن تلميذه. وأخص بالشكر جامعة أم القرى ممثلة بقسم العقيدة على إتاحتها الفرصة لي لإكمال مسيرتي العلمية.

وفي الختام هذا ما اقتضاه الخاطر المكدود على عجزه وبجره وعلّاته وهنّاته، وقلة بضاعته في العلم[(١)]، فما كان فيه من صواب وخير فمنَّة من الكريم المنان، وما فيه من الخلل والخطأ والنقصان فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله ربي وأتوب إليه، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وأسأل المولى العظيم رب العرش الكريم أن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم ويغفر زلاتي وسيئاتي وهفواتي، إنه عفو كريم.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين....

د. أفنان بنت حمد محمد الغماس

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم (١/ ٦٩).

فهرس الموضوعات

المقدمة ٧

الباب الأول حقيقة البلاغ النبوي ومقوماته

الفصل الأول تعريف البلاغ النبوي ١٧

الفصل الثاني مقومات البلاغ النبوي ٢٩

المبحث الأول تحقق الوحي بالرسالة ٢٩

المبحث الثاني ثبوت العصمة ٣٨

الفصل الثالث صفات البلاغ النبوي ٥١

المبحث الأول كمال العلم ٥١

المبحث الثاني تمام النصيحة ٦٠

المبحث الثالث قوة الفصاحة والبيان ٦٨

المبحث الرابع التفاوت ٧٧

المبحث الخامس الإحكام ٩١

المبحث السادس الاتساق ٩٨

المبحث السابع استحالة تناقض البلاغ النبوي مع العقل ١٠٩

الفصل الرابع خصائص البلاغ النبوي ١١٧

المبحث الأول الشمولية ١١٧

المبحث الثاني الاستيعاب ١٢٦

المبحث الثالث الحجية ١٤٥

المبحث الرابع الكفاية والاستغناء ١٥١

الفصل الخامس مقتضيات البلاغ النبوي ١٦٥

المبحث الأول حجية اللازم في البلاغ النبوي ١٦٥

المبحث الثاني ضرورة الجمع بين النصوص ١٦٩

المبحث الثالث ضرورة التسليم ١٧٧

المبحث الرابع امتناع تأخير البيان عن وقت الحاجة ١٨٨

الباب الثاني البلاغ النبوي لدلائل الدين ومسائله

تمهيد ١٩٧

الفصل الأول البلاغ النبوي لدلائل الدين ومسائله الخبرية ٢٠١
الأدلة على ذلك ٢٠٣
أولاً بيان دلالة القرآن الكريم على البلاغ النبوي لدلائل الدين ومسائله ٢٠٣
ثانياً بيان دلالة السنة على البلاغ النبوي لدلائل الدين ومسائله ٢٠٤
الفصل الثاني البلاغ النبوي لدلائل الدين ومسائله العقلية ٢٠٧
شهادة العلماء على اشتمال البلاغ النبوي على دلائل الدين ومسائله العقلية ٢٠٩
الفصل الثالث أوصاف الدلائل الشرعية العقلية في البلاغ النبوي ٢١٣
أوصاف الدلائل الشرعية العقلية ٢١٤
أولاً الإحكام ٢١٤
ثانياً السهولة ٢١٤
ثالثاً الكفاية ٢١٦
رابعاً التنوع في الدلالات ٢١٦
خامساً التنوع والكثرة ٢١٨
سادساً الحفظ والثبات ٢١٩
سابعاً القوة واليقينية ٢٢١
ثامناً البيان ٢٢٤
تاسعاً قربها للقلوب، وتأثيرها على الإيمان ٢٢٦
عاشراً الإيجاز ٢٢٨
الفصل الرابع مقتضيات صفات الدلائل الخبرية والعقلية في البلاغ النبوي ٢٣١
المبحث الأول امتناع تكافؤ الأدلة ٢٣١
المبحث الثاني إمكان قلب الأدلة على المخالف ٢٤٣

الباب الثالث نقد مواقف المخالفين للبلاغ النبوي

الفصل الأول موقف المتكلمين من البلاغ النبوي والرد عليهم ٢٥٥
المبحث الأول حقيقة موقف المتكلمين من البلاغ النبوي ٢٥٧
المبحث الثاني الأصول التي أقيم عليها الموقف والرد عليها ٢٧١
الأصل الأول تقديم العقل على النقل ٢٧١
نقد الأصل الأول ٢٧٣

الأصل الثاني عدم الأخذ بظاهر البلاغ النبوي ٢٨٠
نقد الأصل الثاني ٢٨١
الأصل الثالث القول بأن أدلة نصوص البلاغ النبوي ظنية لا تفيد اليقين ٢٨٨
نقد الأصل الثالث ٢٩١
الفصل الثاني موقف الصوفية من البلاغ النبوي والرد عليهم ٣٠١
المبحث الأول حقيقة موقف الصوفية من البلاغ النبوي ٣٠١
النمط الأول الاتجاه الكشفي السلوكي الإلهامي ٣٠٢
النمط الثاني الاتجاه الإشراقي الفلسفي ٣٠٤
المبحث الثاني الأصول التي أقيم عليها الموقف والرد عليها ٣١٢
الأصل الأول الاعتماد على الكشف ٣١٣
نقد الأصل الأول ٣١٤
الأصل الثاني التفريق بين الحقيقة والشريعة ٣١٨
نقد الأصل الثاني ٣٢١
الرد على التأويل الباطني الصوفي ٣٢٣
الفصل الثالث موقف الشيعة من البلاغ النبوي والرد عليهم ٣٢٧
المبحث الأول حقيقة موقف الشيعة من البلاغ النبوي ٣٢٧
أولا القدح في ثبوت البلاغ النبوي، ونقله إلينا، ويتجلى في موقفين ٣٢٩
الموقف الأول موقف الشيعة من القرآن الكريم ٣٢٩
الموقف الثاني موقف الشيعة من السنة النبوية ٣٣٢
نقد الموقف الأول ٣٣٥
نقد الموقف الثاني ٣٣٧
ثانيا الاتجاه الفلسفي ٣٣٨
ثالثا الاتجاه الكلامي ٣٤٠
رابعا الاتجاه الباطني ٣٤٢
نقد الاتجاه الباطني في المذهب الشيعي، والرد عليه من وجوه ٣٤٦
المبحث الثاني الأصول التي أقيم عليها موقف الشيعة من البلاغ النبوي ٣٤٩
الأصل الأول القول بوجوب الإمام المعصوم ٣٤٩

الأصل الثاني دعوى عدم انقطاع الوحي عن الأئمة ٣٥٢
نقد الأصول ٣٥٣
الفصل الرابع موقف الفلاسفة من البلاغ النبوي والرد عليهم ٣٥٩
المبحث الأول حقيقة موقف الفلاسفة من البلاغ النبوي ٣٥٩
المبحث الثاني الأصول التي أقيم عليها الموقف والرد عليها ٣٦٨
الأصل الأول أن البراهين الفلسفية حقيقة لا تقبل النقد ولا الرد ٣٦٨
نقد الأصل الأول ٣٧٠
الأصل الثاني تقسيم المخاطبين بالنص الشرعي إلى عامة وخاصة أو خطابيون وبرهانيون ..٣٧٣
نقد الأصل الثاني ٣٧٦
الفصل الخامس موقف العلمانيين من البلاغ النبوي والرد عليهم ٣٨٥
المبحث الأول حقيقة موقف العلمانية من البلاغ النبوي ٣٨٥
الموقف الأول التشكيك في حقيقة البلاغ النبوي ٣٨٦
الأصول التي أقيم عليها موقف التشكيك في حقيقة البلاغ النبوي ٣٩٠
الأصل الأول نظرية التاريخية ٣٩٠
الأصل الثاني الأنسنة ٣٩٠
نقد الأصل الثاني ٣٩١
الأصل الثالث توظيف نظرية "خلق القرآن" التي قالها أهل الكلام ٣٩٤
نقد الأصل الثالث ٣٩٥
الموقف الثاني التشكيك في وثوقيه البلاغ النبوي ٣٩٧
نقد الموقف الثاني ٤٠٠
الرد عليهم في تشكيكهم في السنة النبوية ٤٠٩
الأصول التي أقيم عليها الموقف الثاني التشكيك في وثوقيه البلاغ النبوي ٤١١
الأصل الأول التفريق بين الخطاب الشفوي والنص القرآني المكتوب ٤١١
نقد الأصل الأول ٤١٣
الأصل الثاني الأخذ بأقوال الشيعة وشبهات المستشرقين في القرآن ٤١٤
نقد الأصل الثاني ٤١٥
الموقف الثالث تفسير البلاغ النبوي "القراءات الجديدة التأويلية" ٤١٧

الأصل الذي أقيم عليه الموقف الثالث تفسير البلاغ النبوي "القراءات الجديدة التأويلية".. ٤٢٤
الأصل نظرية التاريخية ٤٢٤
نقد الموقف الثالث ٤٢٧
الخاتمة ٤٣٥
التوصيات ٤٣٧